حسن محسب

وقف « رجب » مذهولا ·· وحاول أن يكذب أذنيه · ·حاول أن يقول لنفسه ان كل ما سمعه غير صحيح ·· لكن زميله عبد الرحيم طوى الرسالة · · بعد ان فرغ من قراءتها له ·· وأعادها اليه قائلا :

ـ ولا يهمك يارجب ·· شدة وتزول؛

وأحس رجب بالالم يتزايد في أعماقه ·· ويملأ حلقه بالمرارة ·· فأحنى رأسه ·· ومشى في الطرقة الطويلة ، ويده تطبق على خطاب زوجته ·

ظل رجب، فترة مستسلما لقدميه تقودانه في ممرات المصنع الكبير ، غير شاعر بزملائه الذين يمرون به مهرولين في صخب ، مشغولين بأعمالهم في قسم التشطيبات ·

والماكينات من حوله تدق في عنف ، وكأنها تطحن رأسه ، ولكنه ما لبث أن رفع يده ، ونظر الى رسالة زوجته وهمس في حيرة :

ـ شيء غريب ·· غريب ياناس والله !

وتوقف قليلا ·· وهرش رأسه مفكرا ·· ثم ضرب ياقة « الأفرول » الازرق على قفاه في عنف ·· وخيط قدمه في بلاط الممر ·· وواصل سيره وهو يضغط الرسالة بين أصابعه التي صبغها الشحم ·

وعاد يحدث نفسه :

ـ أبي يعاملني وكأني ما زلت طفلا·· وأمي أيضا ··

وتحسس رجب شاربه بأصابعه المضطربة واضاف :

ـ رغم انني رجل ·· اعمل وأعرق·· مثل زملائي ! ···

وتوقف قليلا ، وأسند رأسه الى الجدار الذي تهزه دقات الآلات الصاخبة، وأخذ يرقب زملاءه المنهمكين في عملهم ، وقد سود الشحم وجوههم وسواعدهم ·

ولمح زميله عبد الرحيم ·· الذي قرأ له الرسالة منذ لحظات ·· لمحه يسرع بما يحمله من قسم الخراطة الى قسم التشطيب وراق له ان يرقب عينا زميله وهما تبرقان في رضا ·· وحدث نفسه:

ـ عبد الرحيم · · مثلي تماما · ·

يعمل مثلى . ويأخذ أجرا كأجرى .. لكنه رجل له قيمته فى بيته .. والده يحترمه . وأمه تحب زوجته .. لقد رأيت هذا بنفسى .

وعاد رجب يسير فى الممر الطويل ، وهو حائر ، محاصر بالألم .. ورسالة زوجته مازالت فى قبضته .

وصرخ فيه رئيسه عندما دخل القسم :

ـ أين كنت ؟ . اسمع . اذا لم تكف عن عبثك واهمالك لعملك فسأكتب تقريرا ليريحونى منك ، وبصعوبة قال رجب فى ذعر :

ياريس أنا ...

فقاطعه :

ـ العمل عمل ياحبيبى . والا .. وربنا أتسبب لك فى مجلس تحقيق .. وأخرب بيتك ! .

وارتعدت فرائص رجب .. واتسعت نظراته فى خوف .. وكلمة رئيسه : «أخرب بيتك» تتردد فى أذنيه بقسوة ، وتقلصت أصابعه على رسالة زوجته .. وهمس فى ضعف :

ـ تخرب بيتى ؟! .. لقد فعلها أبى ؟

واقترب رجب من الماكينة ، وراح يضغط على الكباس ليغلق صمامات الجهاز ولكنه لم يكن يعى ما يفعله .. كان يتساءل فى مرارة :

ـ الجميع ضدى .. كلهم .. أمى وأبى . . ورئيسى أيضا .. لماذا ؟ .. اننى لاأقل عن أى رجل .. و ...

وافاق على هزة مباغتة ، عنيفة .. فارتخت ذراعاه ، وشحب وجهه الذى تلمع فيه بقع الشحم .. ونظر فى اضطراب الى الماكينة التى توقفت عن العمل .

كاد يستسلم لياسه، لكنه لمح رئيسه مقبلا من بعيد ، فأخذ يتفحص أجزاءها فى خوف .. وانكمش على نفسه عندما لسعه صراخ رئيسه :

لو نفعت يارجب يا بن شعبان ! ..

وصمت الرجل لحظة .. ثم هتف :

« ماذا فعلت بالماكينة يا ... »

واسرع رجب يقول :

ـ الحكاية ياريس ... ان ...

وصمت لحظة، وهو يتحسس الرسالة فى قلق ، وتمنى أن يسمعه رئيسه .. لعله يعذره ويقدر اضطرابه الذى أدى الى تعطيل الماكينة .. ولكن رئيسه صرخ فيه :

ـ حكاية ؟ .. أى حكاية ! .. انك دائما تكسر الماكينة وتعطلها ... و...

ـ يا ريس الحكاية .. ان أبى ضرب .. »

ضربة فى دماغك .. الماكينة لا بد أن تدور الآن .. أتفهم ؟! .

وأسرع رجب يقول :

ـ أعرف ياريس .. أعرف .. لكن ..

وفى ارتباك أضاف :

ـ اليست لك زوجة ياريس ؟! .

فحدق فيه الرجل بدهشة بالغة .. وكأنه يرى مجنونا أمامه . ثم قال:

ـ شىء غريب .. مادخلك أنت فى حياتى وبيتى ؟ .

ثم ضربه على رأسه براحته مهددا :

التفت لعملك يا شاطر ! .

وانحنى رجب وبدأ يصلح الماكينة والعرق يلمع على وجهه الشاحب ..

وبعد لحظات طويلة ، تعذب فيها رجب انطلقت صفارة المصنع تعلن راحة الغداء .

وفى البوفيه .. وجد رجب نفسه وحيدا .. بين زملائه الزائطين .. وهم يتبادلون النكات والمداعبات .. فانزوى

فى الركن .. وراح يحدث نفسه :

ـ لماذا ياأبى تفعل كل هذا فى زوجتى ؟

وغامت عيناه وهو يتذكر تلك الايام التى عاشها فى القرية .. حيث كان محط استهزاء الجميع . . لطيبته الزائدة عن الحد ..

وخيل اليه ان أصوات أهل قريته تطارده بكلمات قاسية :

ـ رجب أهبل . .رجب العبيط !

فانتفض فى ذعر .. وعندئذ قال له عامل البوفيه :

ـ ماذا بك يا أخ رجب ؟ .. لماذا تجلس هكذا وكأنك مسئول عن تنظيم الكون ؟ ! .

وشعر رجب ببوادر راحة نفسية .. لأن عامل البوفيه حدثه .. فأسرع يقول :

ـ زوجتى أرسلت لى خطابا اليوم تقول

عليه ان أبي وأمي طردانها من البيت ! ..
و ...

ولكنه توقف فجأة .. عندما تركه عامل البوفيه وانشغل في عمله .. فاعتصرت المرارة قلبه ، وهو يزداد احساسا بغربته وشقائه ، وحمل على نفسه وخرج من البوفيه ورسالة زوجته في قبضته . وفي أعماقه احتراق :

وهمس لنفسه :

ـ ستة ونصف وانا أعيش غريبا بعيدا عنهم .. والدم جف في عروقي من الجري وراء لقمة الخبز .. و .. لم أر زوجتي غير مرة .. مرة واحدة كل ثلاثة أشهر و ...

وغلبه الأسى فصمت ..

لكنه أحس بفراغ هائل مخيف يحيط به .. فهرول الى الخارج .. كان يود الهرب .. الانطلاق .. الى أين ؟ !.. لم يكن يعلم .. لكنه أصبح يخاف وجوده بين زملائه ورئيس عمله .

ورآه حارس الباب فاستوقفه .. وسأله :

ـ الى أين يارجب ؟ !

فانهار رجب عند المدخل .. ورأسه بين راحتيه ثم ...

فسأله الرجل :

ـ ماذا بك ياولدي ؟

ـ لا شيء يا عم محمود .. لا شيء !

ولكنه لمس طيبة قلب «عم محمود» ، فهم أن يحدثه عن المشكلة التي أطارت عقله .. لكن صفارة المصنع أعلنت بدء العودة للعمل.. فنهض في اعياء واتخذ طريقه الى محل عمله وقد بلغ به الضيق منتهاه :

ـ ماذا أفعل ياعبد الرحيم ؟ .. هل أسكت ؟ .. ان زوجتي لا ذنب لها في الموضوع .. مالها والارض .. ان الخلاف كله بين أبي وتسيبي .. فما هو ذنب زوجتي .. ؟ لكن .. انا اعرف السبب .. منذ تزوجت فاطمة .. وأمي لاتكف عن اعلان سخطها عليها .. بغير مناسبة .. أتعرف لماذا ياعبد الرحيم ؟ لانها كانت تريدني أن أتزوج ابنة خالتي .. وانا رفضت لاني كنت أحب فاطمة .. ياسلام ياعبد الرحيم .. ان فاطمة مثل حبة الجميز .. حلوة وطيبة و ...

ولكزه عبد الرحيم في جانبه وهو يقول :

ـ يارجب انتبه .. الماكينة كادت تأكل ذراعك .

ثم تركه ومضى لعمله .

واخيرا .. خرج العمال في جماعات .. وفي مؤخرتهم رجب يسير كئيبا .. لايعرف لماذا تحدث هذه المسائل من حوله .. ! والده وأمه يطردان زوجته ، بسبب خلاف مع والدها .. أو بلا سبب .. لماذا ؟ .. وزملاءه في المصنع يمتص العمل كل وقتهم .. و .. لا أحد ـ يشاركه أحزانه . .و .. اقترب من مدخل المنزل الذي يسكن في احدى حجراته . .وسمع وهو يصعد السلم سمع مواء قطة وقط في بئر السلم ، فتوقف برهة ، وتكرر المواء بشكل مثير وتورد وجهه خجلا عندما رآها !.

وصعد السلم وقد ارتسم في خياله زوجته وهو يضمها الى صدره في حب وحنان ، وهي تقبله باشتياق وظمأ و... دق قلبه بحلاوة الذكرى ، وتغلغل شعور بالراحة في نفسه ، فقال في رقة وطيف زوجته مازال يملأ خياله :

ـ سأحضرها لتعيش معي هنا ..

وأحس بالهدوء يحتضن كل مشاعره.